



الإنسان، تستخدم إسرائيل الآن الفوسفور الأبيض ضد المدن والمخيمات في قطاع غزة. لكن المعركة التي حدثت قبل 41 عاما في مخيم برج الشمالي، الاسم السابق لمخيم الشهداء، كانت أول معركة شوارع أثناء غزو لبنان عام 1982.

وكان الهدف الرئيسي من الحرب الإسرائيلية هو تدمير المنظمات الفلسطينية في لبنان، ومنها فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وغيرهما. لكن إسرائيل كان لديها طموحات أخرى وهي تستهدف القوة العسكرية الفلسطينية، فقد كانت تريد خلق منطقة عازلة وإنهاء الوجود السوري في لبنان، وتنصيب حكومة مسيحية صديقة في بيروت.

وتقول الباحثة إن التشابه بين العملية في غزة وغزو لبنان يذهب أبعد من التكتيكات، فكلا الهجومين بدءا بعد هجوم فلسطيني صادم، ومثل الماضي كما الآن، فقد اختارت الحكومة الصقورية في إسرائيل أقصى رد. وفي الماضي والآن، حدثت كل المعارك في الشوارع والمناطق ذات الكثافة السكانية، حيث انغمس المقاتلون بين المدنيين. واليوم كما في الماضي، استخدمت القوات الإسرائيلية قوة غير متناسبة.

ولا تقدم هذه المقارنة عزاء، فلو كان لبنان الدليل، فحرب إسرائيل في غزة ستنتهي بشكل سيئ لكل من الفلسطينيين والإسرائيليين.

ورغم تفوقها العسكري، فلم تنجح إسرائيل أبدا في القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية. وبدلا من ذلك، فقد كان الإنجاز الرئيسي لها هو قتل عشرات الآلاف من المدنيين، وتفكيك الجماعات الفلسطينية إلى خلايا قضت سنوات بملاحقتها، وعملت على صعود حزب الله وخسرت أكثر من ألف إسرائيلي في الاحتلال الذي امتد حتى عام 2000.

وهي أشكال تحدث مرة أخرى. وبحلول 12 تشرين الثاني/ نوفمبر عندما قطعت إسرائيل الاتصالات عن مستشفيات غزة، بلغ عدد الضحايا أكثر من 11000 مدني، وهو رقم مرشح للارتفاع.

1982

ومع نهاية الحرب، فلن تستطيع إسرائيل القضاء على حماس أو الجهاد الإسلامي. ربما تضعف العملية التنظيمية كما فعلت مع منظمة التحرير عام 1982، لكن الجماعات تعيد خلق نفسها وتظهر محلها جماعات أخرى،



وكما هو الحال في حصار غزة اليوم، أمر إيتان وشارون بمحاصرة بيروت وقطع الماء والكهرباء والطعام عن عاصمة يعيش فيها أكثر من 620000 شخص، ولمدة شهر. وفي النهاية، أجبرت إسرائيل منظمة التحرير على الخروج، ولكن بعد مقتل 6775 مواطن في بيروت من بينهم 5000 مدني.

وفي غزة، تدير إسرائيل حصار شاملا، ولكنها لا تهتم بالثمن الإنساني. واعتبر وزير الدفاع يوآف غالانت، أن بلاده تقاتل "حيوانات بشرية" وتتعامل بهذه الطريقة، ويبدو أنه يردد ما قاله إيتان عام 1982 الذي تباهي قائلا إن إسرائيل "عندما ستؤمّن الأرض، فكل ما سيقوم به العرب هو الركض مثل الصراصير المخدرة في زجاجة". وتجريد إيتان السكان من الإنسانية، يلخص السبب الذي واجه فيه الجيش الإسرائيلي مشاكل في جنوب لبنان.

ولم يتوقع قادة إسرائيل الواثقين بقوتهم، مقاومة شديدة من الفلسطينيين واللبنانيين. فعندما تحركت القوات الإسرائيلية باتجاه الطريق السريع الذي يربط مدن لبنان الرئيسية، واجهت مقاومة شديدة في مناطق فقيرة ومخيمات. ومع انهيار القوات اللبنانية وفرار مقاتلي الفصائل، قاتلت الميليشيات في المخيمات بطريقة أدخلت الإسرائيليين بمستنقع، وقتلت عددا من الضباط. وكمثال على هذه المقاومة، معركة عين الحلوة التي أخّرت تقدم القوات الإسرائيلية ولم تستطع التغلب عليه إلا باستخدام الذخيرة القاتلة والفسفور الأبيض وتجريف المخيم حتى تواصل التقدم نحو الشمال.

ولم تكن عمليات التدمير والقصف الوسيلة الوحيدة التي لجأ إليها الإسرائيليون، بل الاعتقالات الجماعية للفلسطينيين واللبنانيين، أيضا، حيث تم احتجاز 9046 شخص في سجن واحد. لكن هذا الأسلوب لم يساعد، فقد قام المحتجزون بانتفاضات وعمليات هروب من المعتقلات، أما المشردون من النساء والأطفال والكبار في عين الحلوة وغيره، فقد نظموا احتجاجات لفتت انتباه منظمات حقوق الإنسان والأمم المتحدة.

ويتكرر المشهد اليوم، فبعد تعاطف دولي مع إسرائيل بسبب هجمات حماس، التفت انتباه العالم للعنف الإسرائيلي في غزة، وما يمارسه المستوطنون بالضفة الغربية وقتلهم للفلسطينيين وتخريب وحرق ممتلكاتهم، بحماية من الجيش الإسرائيلي.

ونشرت صحف مثل "نيويورك تايمز" و"واشنطن بوست" تقارير مطولة عن عنف المستوطنين في الأراضي المحتلة. وهو ما فعلته الميليشيات اللبنانية المتحالفة مع الجيش في صيدا أثناء الغزو، وتحت سمع وبصر القوات الإسرائيلية. وفي الحقيقة، أنتج التحالف مع الميليشيات المسيحية أهم مذبحه في عملية سلامة الجليل.

فبعد اغتيال بشير الجميل في أيلول/ سبتمبر 1982، احتل الجيش الإسرائيلي بيروت الغربية، وحاصر مخيمي صبرا وشاتيلا ومنع الدخول أو الخروج منهما، ولكنه سمح للميليشيات المسيحية التي قتلت على مدى يومين أكثر من ألفي فلسطيني.

وبعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان عام 1982، لم تنته الحرب، وأعاد الناجون تنظيم صفوفهم، وشكّلوا خلايا تعمل باستقلالية، وواصلوا الحرب ضد إسرائيل. وفي لبنان، فإن مقاومة إسرائيل أصبحت مشروطة بالسياق المحلي، عبر حزب الله الذي ظهر لإخراج إسرائيل من الجنوب، والحزب الشيوعي اللبناني.

وستنتهي الحرب في غزة من خلال مفاوضات تختلف عن تلك التي حدثت في غزو لبنان الذي يعتبر دولة ذات سيادة بحكومة وجيش. أما غزة، فهي أرض فلسطينية تقول المنظمات الدولية وجماعات حقوق الإنسان إن إسرائيل تحتلها وتمارس عليها مع مصر حصارا منذ 16 عاما. وليس لدى غزة اقتصاد مستقل، ولا تسيطر على مياهها البحرية أو الكهرباء.

لكن النتيجة لن تختلف بالجوهري عن لبنان، فقد قال نتنياهو إن حكومته ستتحكم بالأمن في غزة، وتعاونها مع ميليشيات المستوطنين. وكذا الاعتقالات الجماعية، كلها تشير لنفس النتيجة.

ولا أحد يعرف بالضبط عدد ضحايا غزو لبنان ولا عدد الذين ماتوا تحت الأنقاض أو ذُبحوا في صبرا وشاتيلا، لكن الحكومة اللبنانية والمؤسسات الصحية تقدر عدد من قتلوا في عملية سلامة الجليل بحوالي 19085 لبناني وفلسطيني خلال أربعة أشهر، 80% منهم مدنيون. وقدرت منظمة التحرير عدد القتلى بـ49000 مدني، و5300 من المقاتلين.

وربما كانت خسائر إسرائيل أقل، لكن الصدمات النفسية كانت أكبر على الجنود حسب دراسات إسرائيلية. ورغم كل هذه التداعيات، فلا تريد إسرائيل الموافقة على وقف إطلاق النار في غزة، بزعم أن هذا

سيكون انتصارا لحماس. وهذا تضليل لأن الراحين من وقف إطلاق النار هم المدنيون ودعاة اللاعنف والحقوق المتساوية للفلسطينيين، والإسرائيليين، أما الخاسرون فهم حماس والمتطرفون الإسرائيليون.

وترى الكاتبة أنه إدارة بايدن قد تلعب دورا في وقف الحرب وتمنع تحولها إلى كارثة إنسانية.

الولايات المتحدة هي واحدة من القوى العظمى في العالم، ولها مسؤولية كبيرة في حماية المدنيين في جميع أنحاء العالم. يجب أن تكون إدارة بايدن أكثر شفافية في تعاملها مع حماس، وأن تتجنب أي دعم غير مباشر للحركة. يجب أن تكون إدارة بايدن أكثر شفافية في تعاملها مع حماس، وأن تتجنب أي دعم غير مباشر للحركة.

وربما يتبع بايدن نهج الرئيس رونالد ريغان الذي انقسمت إدارته بين من يدعو لانسحاب إسرائيل من لبنان، ومن يدعو إلى انسحاب سوريا ومنظمة التحرير أيضا. لكن مع تطور الوضع الإنساني، قرر البيت الأبيض في تموز/ يوليو 1982 وقف شحنه من القنابل العنقودية إلى إسرائيل، لأن الأخيرة خرقت الاتفاق بعدم استخدامها في المناطق المدنية.

وبعد وابل القذائف الذي أمطر بيروت، اتصل ريغان مع بيغن وطلب وقف القصف. واستخدم لغة عاطفية: "هنا، وعلى شاشاتنا، ليلة بعد ليلة نرى". شاهد شعبنا رموز هذه الحرب... إنها هولوكوست

وفي نيسان/ أبريل 1983، أخبر ريغان الرأي العام الأمريكي أن الإدارة أوقفت صفقة طائرات أف-16 لإسرائيل، ولن تُستأنف إلا في حالة انسحاب إسرائيل من لبنان. وهو ما غير سلوك القيادة الإسرائيلية

واليوم، على بايدن استخدام تأثيره، لأن وقف إطلاق النار هو الخيار الأخلاقي والمنطقي إن أرادت أمريكا أن تظل وسيطا محترما في المنطقة. أما البديل، فهو الحكم على أهل غزة بالموت، والكثير منهم يعارضون حماس.

المصدر: مجلة فورين أفيرز